

قسم علم الاجتماع / السنة الثالثة

مقرر نظريات اجتماعية ف ٢ / د. عدنان مسلم

"النظريات السوسيولوجية في فترة ما بعد الحداثة"

- يمتدّ مفهوم ما بعد الحداثة من ١٩٧٠ - ١٩٩٠ م.
- يقصد به: "النظريات، والتيارات، والمدارس الفلسفية، والفكرية، والأدبية، والسوسيولوجية التي ظهرت في فترة ما بعد الحداثة".
- جاء مفهوم ما بعد الحداثة لتقويض الميتافيزيقا الغربية وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت على الفكر الغربي مثل (اللغة/ الهوية/ العقل)، واستخدمت آليات النشئت، والتغريب، والتشكيك، والاختلاف.
- يقتزن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى، والعدمية، والتفكيك، واللامعنى، واللا نظام.
- يمتاز بالتحرر من قيود التمرکز، واللّوغوس، والتقليد، وبفضح المؤسسات الغربية، وبتعرية الأيديولوجيات البيضاء.

المطلب الأول: مفهوم ما بعد الحداثة

- يعدّ من أكثر المصطلحات التباساً؛ فمنهم من يعيد هذه المفردة إلى المؤرخ البريطاني توينبي عام ١٩٥٤م، وهناك من يربطها بالشاعر والناقد الأمريكي أولسن في الخمسينيات، وهناك من يحيلها إلى ناقد الثقافة فيدلر ويحدّد زمانها بعام ١٩٦٥م، ومنهم من أرجعها إلى تشابمان صاحب مصطلح "الرسم ما بعد الحداثي" في عقد ١٨٧٠م.

- هناك من عدّ الحداثويّون هم أنفسهم ما بعد الحداثويّين، وهناك من كان أكثر ميلاً لاعتبار مرحلة الحداثة مختلفة جذرياً عن مرحلة ما بعد الحداثة وأفكارها، وآخرون اعتبروا الخلاف خلافاً نسبياً لا جذرياً.
- هناك من دافع عن الحداثة وعدّها مشروع لم يكتمل بعد؛ ويُقصد هنا قيم التّوير والعدالة التي سادت في عصر الأنوار في القرن الثامن عشر، ويتزعم هذا الجانب عالم الاجتماع الفرانكفورتّي النّقديّ "يورغين هابرماس".
- وفقاً لـ"دافيد كارتز" فقد تززع مفهوم ما بعد الحداثة؛ فكلّ مفهوم لا يفهمه الطّلبة يعدّونه ما بعد حداثويّ، أيّ للدّلالة على أنّ الشّيء عديميّ وغير مفهوم.
- يمكن الحديث عن أربعة منظورات في إطار ما بعد الحداثة:
 - أ- المنظور الفلسفيّ: والذي يرى بأنّ ما بعد الحداثة نشأ نتيجة الفراغ بغياب الحداثة.
 - ب-المنظور التّاريخيّ: يرى أنّها حركة ابتعاد عن الحداثة أو رفضاً لبعض جوانبها.
 - ت-المنظور الأيديولوجيّ - السّياسيّ: يُعدّها تعريّة للأوهام الأيديولوجيّة الغربيّة.
 - ث-المنظور الاستراتيجيّ - النّصوّسيّ: يرى أنّ نصّوص ما بعد الحداثة لا تتقيّد بالمعايير المنهجية وليس لها قراءة واحدة، بل قراءات متعدّدة.

المطلب الثّاني: السّياق الذي ظهر فيه مفهوم ما بعد الحداثة

- ارتبط بتطور الرّأسماليّة ووسائل الإعلام وكان ردّ فعل على البيّنويّة، وعلى الهيمنة، وعلى الاستلاب.
- ظهر بظروف سياسيّة معقّدة: بعد انتهاء الحرب العالميّة الثّانية، وفي سياق الحرب الباردة، وتزامناً مع انتشار النّووي، وفي فترة إعلان ميلاد حقوق الإنسان، وإبان ظهور مسرح

العبث واللامعقول، وخلال ظهور الفلسفات اللاعقلانية مثل "السريالية، والوجودية، والفرويدية، والعدمية، والعبثية، والتفكيكية".

- أنموذجه هو النشطي والتشنت؛ فقد زرع النقة بالأنموذج الكوني وبالعلاقة النتائج بالأسباب، وحارب العقل والعقلانية.

- ظهر في مجال الرسم، والعمارة، والهندسة المدنية قبل أن ينتقل إلى الفلسفة، والأدب، والسوسيولوجيا.

المطلب الثالث: مرتكزات ما بعد الحداثة

أ- التفويض: فقد تسلحت بمعاول الهدم والتشريح لتعريّة الخطابات الرسمية ولفضح الأيديولوجيات السائدة المتأكلة.

ب- التشكيك: أيّ التشكيك باليقينات وانتقاد المؤسسات الثقافية؛ فتفكيكه جاك دريدا مثلاً هي تشكيك بميتافيزيقا الغرب من أفلاطون حتى الفلسفة الحديثة.

ت- الفلسفة العدمية: إنها تغيب للمعنى، وتقويض للعقل والمنطق، ولا تقدّم بدائل علمية واقعية بل هي فلسفات عبثية لا معقولة تنتشر اليأس والشكوى والكآبة.

ث- التفكك والالانسجام: فهي ضدّ النظام والانسجام.

ج- الغرابة والغموض: تتميز ما بعد الحداثة بالغرابة والغموض في الآراء، وفي الأفكار، وفي المواقف.

ح- تفكيك المقولات المركزية الكبرى: كالهوية، والعقل، والجوهر... إلخ.

خ- قوة التحرر: حيث تعمل فلسفات ما بعد الحداثة على تحرير الإنسان من قهر المؤسسات، والمعرفة، والسلطة، وتحريره أيضاً من أوهام الأيديولوجيات البيضاء.

د- مافوق الحقيقة: فجان بودريار - مثلاً- ينكر الحقيقة ويُعدّها ضرباً من ضروب الوهم والخداع.

ذ- التّخلص من المعايير والقواعد: فما يُعرف عن نظريّات ما بعد الحادثة تخلصها من القواعد المنهجية.

المطلب الرابع: أهم نظريّات ما بعد الحادثة

ثمّة مجموعة من النظريّات الأدبية، والنقدية، والثّقافية، والسّوسولوجية التي رافقت ما بعد الحادثة، وفي هذا الصّدّد يمكن الإشارة إلى النّظرية النّقدية لمدرسة فرانكفورت، والنّظرية الجنسية، والنّظرية العرقية، والنّظرية النسوية وغيرها من النظريّات.

المطلب الخامس: رواد نظرية ما بعد الحادثة

الفرع الأوّل: جان بودريار (٢٠٠٧-١٩٢٩) Jean Baudrillard

- اشتهر بنقده للتكنولوجيا.
- قدّم مجموعة من المفاهيم منه: الحقيقة العامة، وما فوق الحقيقة، والاهتمام بالخيال العلمي وغيرهم.
- أنكر جان بودريار، مثله مثل الفيلسوف الألمانيّ نيتشه، وجود الحقيقة ما دامت ترتبط ارتباطاً وثيقاً باللّغة، والخطأ، والظنّ، والمبالغة المجازية.
- أصبحت كتابات بودريار "استراتيجيات فادحة" و "وهم النّهاية" عديمة بشكل متزايد، وقد قادته أراؤه المتطرّفة إلى القول بالعبارة الشهيرة، والتي اجتذبت انتقادات قاسية، وهي أنّ حرب الخليج عام ١٩٩١م لم تكن حقيقية، بل كانت حدثاً إعلامياً: "إنّها غير حقيقية، إنّها

حرب دون أعراض الحرب" وهذا ما قاد العديد للشك في أن بودريار نفسه قد ابتعد إلى ما فوق الحقيقة، ولم يعد يسكن جسداً دنيوياً.

الفرع الثاني: جان فرنسوا ليوتار (١٩٩٨-١٩٢٤) Jean Lyotard

- أنكر الحقيقة مثله مثل نيتشه أيضاً، وخاصة في كتابه "حالة ما بعد الحداثة" عام ١٩٧٩م.
- يدعي ليوتار أن أهداف التثوير في تحرير الإنسان وانتشار المنطق لم تنتج سوى العجرفة العلمية.
- ثار ليوتار على التمرکز العقلي وانتقد هيمنته، واستغلاله، وانغلاقه، وسطوته على الفن والحياة؛ حيث يناقش مستشهداً بفوكو "أن ما يُعدّ تفكيراً عقلانياً من قبل المفكرين الحداثيين هو في الواقع، شكل من أشكال السيطرة والهيمنة".
- يؤكّد على أهمية تحرّر النقد الأدبي من الالتزام بالقواعد المنهجية والمعايير المسبقة.

الفرع الثالث: جاك دريدا (1930-2004) Jacques Derrida

- اهتم جاك دريدا بتفكيك الثقافة الغربية، وتقويض مقولاتها الكبرى والمركزية بالنقد والتشريح بغية تعرية المؤسسات الغربية المهيمنة وفضح الأيديولوجيات البيضاء المبنية على الهيمنة، والاستغلال، والاستعمار، والتغريب، والإقصاء.
- ثار دريدا على مجموعة من المقولات البنيوية، كالمدلول، والصوت، والبنية، وغيرها.
- فتفكيكية جاك دريدا هي منهجية لكن دون خطوات، وما يهّمها هو تفكيك الفكر، والنص، والخطاب عبر آليات التشكيك، والتقويض، والتشكيك بالمسلمات اليقينية ودحضها عن طريق النقد، والتشريح، والاختلاف.

- انتقد جاك دريدا الميتافيزيقا الغربية، ومن ثمّ قوّض مجموعة من المفاهيم السائدة مثل: الهوية، اللوغوس، الجوهر وغيرها.

الفرع الرابع: ميشيل فوكو (1926- 1984) M.Foucault

- اهتم كثيراً بمفهوم الخطاب، والسلطة، والقوة حيث كان يرى أنّ الخطابات ترتبط بقوة المؤسسات والمعارف العلمية.
- يرى فوكو أنّ هناك علاقة بين المعرفة، والقوة، وسلطة المجتمع. فالحقيقة هي قوة وسلطة، ومن ثمّ فقد قرأ المعرفة الإنسانية في علاقتها بالسلطة في ضوء تحليلات حفرية (أركيولوجية) وجينالوجية.
- ثار ميشيل فوكو على الفلسفة الغربية وتقسيماتها الكلاسيكية، وارتأى أنّ من يمتلك العلم والمعرفة يمتلك السلطة.
- يدعو فوكو إلى تحرير الإنسان من السلطة وتخليصه من قوة الدولة المؤسساتية.
- رفض التقيد بالمناهج الجاهزة واستعمال آليات مكررة، فالنصّ منفتح ومتعدد ولا يمكن قراءته قراءة أحادية فقط.
- اهتم بمواضيع جديدة كالجنوسة والنظريات الجنسية، وكان أكثر الكتاب والفلاسفة الفرنسيين تأثيراً في الثقافة الأنجلوسكسونية.

المطلب السادس: تقويم تجربة ما بعد الحداثة

- إيجابياتها:

- هي حركة تحريرية تهدف لتحرير الإنسان من عالم الأساطير والأوهام.
- تعمل على إعادة النظر باليقينيات الثابتة.
- انتقدت الخطابات الاستشراقية ذات الطابع الاستعماري.
- آمنت بالتعددية، وبالاختلاف، وبتعدد الهويات.
- عملت على إلغاء التحيزات الهرمية والطبقية.
- نددت بالمفاهيم القمعية القسرية وبسلطة القوة.

• سلبياتها:

- اعتمدت على التقويض، والنهديم، والفوضى دون تقديم أي بديل واقعي أو عملي.
- لم يكن لها موقف أخلاقي أو سياسي أو اجتماعي.
- إن دخول "ما بعد الحداثة" مجال العلوم الإنسانية حديث نسبياً ولم يتسم بالفعالية نفسها التي عرفها في الفن، والأدب، والموسيقى.
- تمنّت أن يتحقق الونام فجأة، فتسود العدالة، وتختفي الطبقة الهرمية، وهذه هي الطوباوية التي تحلم بها كلّ المثاليات سواء كانت حداثيّة أم كانت ما بعد حداثيّة.
- إنّها نظرية عبثية فوضوية عدمية تساهم في جعل الإنسان كائناً عبثياً فوضوياً لا قيمة له في هذا الكون المغيّب.

أهمّ أعلام ما بعد الحداثة:

(أ) جان بودريار (٢٠٠٧-١٩٢٩) Jean Baudrillard

- مُنظّر ثقافيّ، وفيلسوف، ومُحلّل سياسيّ، وعالم اجتماع، وهاويّ للتصوير الفوتوغرافيّ.
- تصنّف أعماله ضمن مدرسة ما بعد الحداثة وما بعد البنيويّة.
- ولد في فرنسا، ودرس الألمانيّة في السوربون في باريس، وعمل كمتّرجم وناقد.
- في عام ١٩٦٦م أنهى أطروحة الدكتوراه بعنوان: "أطروحة الدّورة الثّالثة: نظام الأشياء".
- أهمّ أعماله:

(١) نظام الأشياء ١٩٦٨م.

(٢) مجتمع الاستهلاك: الأساطير والبنى ١٩٧٠م.

(٣) التّبديل الرّمزيّ والموت ١٩٧٦م.

(٤) انسى فوكو ١٩٧٧م.

ب) جان فرنسوا ليوتار (١٩٩٨-١٩٢٤) Jean Lyotard

- فيلسوف، وعالم اجتماع، ومُنظّر أدبيّ فرنسيّ.
- اشتهر بأنّه أوّل من أدخل مصطلح ما بعد الحداثة إلى الفلسفة والعلوم الاجتماعيّة.
- إسهامه الرّئيسيّ في الفلسفة هو نقده للحداثة وكتابته عن سقوط الأيديولوجيّات الكبرى التي يسميها السّرديّات الكبرى.
- كانت أطروحته في الماجستير حول: "اللامبالاة كمفهوم أخلاقيّ"، ونال الدّكتوراه في الأدب.

ت) جاك دريدا (1930-2004) Jacques Derrida

- فيلسوف فرنسيّ ومحاور أدبيّ.
- أوّل من استخدم مفهوم التّفكيك في الفلسفة ويعدّ من أهم فلاسفة القرن العشرين.
- تناول مجموعة واسعة من القضايا كالمعرفة، والجوهر، والوجود، والتّحليل.

ث) ميشيل فوكو (1926- 1984) M.Foucault

- فيلسوف فرنسيّ.
- يعدّ من أهم فلاسفة النّصف الأخير من القرن العشرين.
- تأثّر بالبنويّين، ودرس وحلّل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون"، وعالج مواضيع مثل: الإجرام، والعقوبات، والممارسات الاجتماعيّة في السّجون.
- كان يحتل كرسيّاً في "الكوليج دو فرانس".
- ابتكر مصطلح "أركيولوجيّة المعرفة".
- أرخ للجنس من "حبّ الغلمان عند اليونان" وصولاً إلى معالجاته الجدليّة المعاصرة كما في "تاريخ الجنسانيّة".
- أهمّ مؤلفاته:
- (١) تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكيّ ١٩٦١م.
- (٢) حفريات المعرفة ١٩٦٩م.
- (٣) نظام الخطاب ١٩٧١م.
- (٤) المراقبة والمعاقبة ١٩٧٥م.
- (٥) تاريخ الجنسانيّة في ٣ أجزاء ١٩٨٤م.

أسئلة المحاضرة:

- ١- البحث في مفهوم ما بعد الحادثة، والسّياق الذي ظهر به.
- ٢- البحث في مرتكزات نظريّة ما بعد الحادثة.

٣- تعداد أهم نظريات ما بعد الحادثة.

٤- توضيح أهم إسهامات جان بودريار، كأحد أقطاب ما بعد الحادثة.

٥- توضيح أهم إسهامات جان فرانسوا ليوتار، كأحد أقطاب ما بعد الحادثة .

٦- توضيح أهم إسهامات جاك دريدا، كأحد أقطاب ما بعد الحادثة

٧- توضيح أهم إسهامات ميشيل فوكو، كأحد أقطاب ما بعد الحادثة.

٨- مناقشة تجربة ما بعد الحادثة؛ سلبياتها وإيجابياتها.

المرجع المعتمد:

- حمداوي، جميل، (٢٠١٢م): "نظريات علم الاجتماع"، شبكة الألوكة.